Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

تنزيه القرآن عن المطاعن

إملاء قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد

المتوفى عام ٤١٥ هـ

رضي الله عنه

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع
دار النهضة الحديثة
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

حياة المؤلف

هو قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني .

وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الاطلاق غيره قرأ على أبي اسحق بن عياش مدة ثم رحل الى بغداد وأقام عند الشيخ أبي عبدالله مدة مديدة حتى فاق الاقران وصار فريد دهره .

قال الحاكم وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فانه الذي فتق علم الكلام ونشر بروده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لأحـــد قبله وطال عمره مواظباً على التدريس والاملاء حتى طبق الأرض بكتبه وأصحابه وبعد صيته وعظم قدره واليه انتهت الرياسة في المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع وصار الاعتماد على كتبه :

وشهرة حاله تغني (عن الاطناب في الوصف) .

استدعاه الصاحب الى الريّ بعد سنة ستين وثلاثمائة فبقي فيها مواظباً على التدريس الى أن توفي رحمه الله سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعمائة وكان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الأرض ومرة يقول هو أعلم أهل الأرض ويقال ان له أربعمائة ألف ورقة مما صنف في كل فن :

ومصنفاته أنواع منها في الكلام ككتاب الخلاف والوفاق وكتاب المبسوط وكتاب المحيط . ومنها نوع في الشروح كشرح الاصول وشرح المقالات . ومنها في أصول الفقه كالنهاية والعمدة وشرحه وله كتب في النقض على المخالفين كنقض اللمع ونقض الامامة . ومنها جوابات مسائل وردت عليـــه كالرازيات

والنيسابوريات . ومنها في الخلاف ككتابه في الخلاف بين الشيخين . ومنها في المواعظ كنصيحة المتفقهة وله كتب في كل فن وعلى الجملة فحصر مصنفاته كالمعتذر وهو من اهل الطبقة الحادية عشرة من طبقات المعتزلة ذكر ذلك احمد بن يحيى المرتضى في كتاب المنية والامل في شرح كتاب الملل والنحل .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه وإحسانه في الدين والدنيا وصلواته على محمد وآله الطيبين (أما بعد) فان أولى ما يتكلفه المرء في أثارة العلوم ما يعظم النفع به في دينه ودنياه فيعرف كيف يعبد ربه في الصلاة والصيام وغيرهما (وذلك) بقراءة القرآن وبالانقطاع إلى الله، وكل ذلك لا يتم الا بمعرفة معاني ما يقرؤه وما يورده في ادعيته من الأسماء الحسنى إما مفصلاً وإما على الجملة فانه تعالى قد أودع القرآن من المواعظ والزواجر وغيرهما ما اذا تأمله المرء وقعت به الكفاية : وقد روى عن النبي ﷺ انه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد حذره عن اختلاف الأمة بعده : عليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم ما يدعه من جبار إلا قصمه الله ومن يتبع الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وأمره الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لما سمعه الجن لم يتناهوا أن قالوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) هو الذي لا تختلف به الألسنة ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه : ومعلوم انه لا ينتفع به إلا بعد الوقوف على معاني ما فيه وبعد الفصل بين محكمه ومتشابهه فكثير من الناس قد ضل بأن تمسك بالمتشابه حتى اعتقد ان قوله تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) حقيقة في الحجر والمدر والطير والنعم وربما رأوا في ذلك تسبيح كل شيء من ذلك ومن اعتقد ذلك لم ينتفع بما يقرؤه ولذلك قال تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) وكذلك وصفه تعالى بأنه (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) وقد أملينا في ذلك كتابا يفصل بين المحكم والمتشابه عرضنا فيه سور القرآن على ترتيبها وبينا معاني ما تشابه من آياتها مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها ليكون النفع به أعظم ونسأل الله التوفيق للصواب ان شاء الله .

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) معنى بسم الله الابتداء به تبركا والاستعانة في كل امر مهم : ومعنى الله ان العبادة به تليق دون غيره لأنه الخالق والمنعم بسائر النعم : ومعنى الرحمن المبالغة في الانعام العظيم الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى : ومعنى الرحيم المبالغة في الاكثار من الرحمة والنعمة وقد يوصف بذلك غيره أيضاً .

[مسألة] قالوا ما وجه الابتداء ببسم الله وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم فالاستعانة بالله تقع لا باسمه . وجوابنا ان الأمر كما قالوا لكنه ذكر اسمه وأريد هو على وجه الاعظام وهذا كقوله تعالى (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ) فأمر بتنزيه اسمه وأراد تنزيهه عما لا يليق به لكنه ذكر الاسم تعظيما له وهذا كما يقال صلوات الله على ذكر النبي ﷺ .

[مسألة] قالوا فما وجه ذكر هذه الاسماء الثلاثة دون غيرها . قيل له ذكر الله لأن المكلف قد اختص بأن لزمته عبادته وهو الذي يعرف أنواع نعمه وذكر الرحمن الرحيم لأنه لأجل ذلك استحق العبادة .

سورة الحمد

معنى الحمد لله الشكر لله وكيف نشكره فعلمنا تعالى ذلك .

[مسألة] قالوا الحمد لله خبر فان كان حمد نفسه فلا فائدة لنا فيه وان أمرنا بذلك فكان يجب أن يقول قولوا الحمد لله . وجوابنا عن ذلك ان المراد به الامر بالشكر والتعليم لكي نشكره لكنه وان حذف الامر فقد دل عليه بقوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لأنه لا يليق بالله تعالى وإنما يليق بالعباد فاذا كان معناه قولوا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فكذلك قوله (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) وهذا كقوله (وَٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) معناه ويقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) ومثله كثير في القرآن .

[مسألة] وربما قالوا لماذا أعاد (ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) وقد تقدم من قبل . وجوابنا ان ذلك ليس بتكرار لأن المراد بالأول توكيد الاستعانة والمراد بالثاني توكيد الشكر له فلذلك كرر .

[مسألة] قالوا ما معنى قوله (مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) ويوم الدين ليس بموجود حالا وكيف يملك المعدوم وما فائدة ذلك . وجوابنا ان المراد القادر على (ذلك اليوم) الذي فيه الجنة على عظم شأنها والنار على عظم امرها وفيه المحاسبة والمساءلة فنبه تعالى بذلك على انكم ان شكرتم وقمتم بالواجب فلكم من الفوز في الآخرة بالثواب نهاية ما تتمنون فصار ذلك ترغيباً في الشكر والعبادة وزجراً

عن خلافه واذا قريء « مَالِكِ » فالمراد به القدرة على يوم الدين واذا قريء « ملك » فالمراد به القـــدرة على العباد الذين يتصرف تعالى فيهم بما يوجب الانقياد له .

[مسألة] قالوا ما معنى (إهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلمُسْتَقِيمَ) وعندكم ان الله تعالى قد هدى الخلق بالادلة والبيان فما وجه هذا الطلب والدعاء . وجوابنا على ذلك انه تعالى وان مكن وأقدر المكلف ففي قدرته تعالى من زيادة البيان والادلة والالطاف والعصمة ما ينتفع به العبد اذا أمده بها والعبد يجوّز ذلك فيطلبه وهذا كما قال تعالى (وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى) فأمر تعالى العبد أن ينقطع الى الله تعالى فيقول (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وان لا يكذب في ذلك فيكون مراده بالصلاة الرياء والسمعة وأن لا يستعين الا بالله تعالى وأن يستمد من جهته الالطاف والمعونة على الصراط المستقيم الذي هو دينه وطريقة من أنعم الله عليه لا طريقة الكفار الذين ضلوا فغضب الله عليهم .

سورة البقرة

[مسألة] قالوا ما الفائدة في قوله تعالى (الٓمٓ) ولا يعقل من ذلك في اللغة فائدة وكيف يجوز ذلك والقرآن عربي والعرب لا تعرف ذلك . وجوابنا ان الله تعالى جعل ذلك اسما للسورة وعلى هذا الوجه يقال سورة (قَ) (وَحم) السجدة وسورة (طه) ولله تعالى ان يجعل لهذه السورة اسما وهذا مروي عن الحسن البصري وغيره ومتى قيل فقد حصل في ذلك اشتراك ولا بد من ضم زائدة اليه فلا فائدة إذاً في ذلك . فجوابنا أن الألقاب كزيد وعمرو يقع فيها أيضاً الاشتراك ثم تميزها بزيادة وقيل أيضاً في جوابه ان فائدة ذلك أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي تقدرون عليها «ومع» ذلك يتعذر عليكم هذا النظم بفضل رتبته فاعلموا انه معجز .

[مسألة] ومتى قيل ولماذا قال تعالى (ذَٰلِكَ ٱلكِتَابُ) ولم يقل هذا الكتاب. فجوابنا أنه جل وعز وعد رسوله إنزال كتاب عليه لا يمحوه الماء فلما أنزل ذلك قال (ذَٰلِكَ ٱلكِتَابُ) والمراد ما وعدتك ولو قال هذا الكتاب لم يفد هذه الفائدة .

[مسألة] قالوا ما معنى (لا رَيْبَ فيهِ) وقد علمتم أن خلقاً يشكون في ذلك فكيف يصح ذلك وان أراد لا ريب فيه عندي وعند من يعلم فلا فائدة في ذلك . فجوابنا ان المراد انه حق يجب أن لا يرتاب فيه وهذا كما يبين المرء الشيء لخصمه فيحسن منه بعد البيان أن يقول هذا كالشمس واضح وهذا لا